بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لقد رُكِز في جِبلّة البشر حبُّ الأوطان والشغَف بالمنشأ، وهذا الحب فطرةٌ ثابتةٌ في حنايا النفوس متجذِّرةٌ في شغاف القلوب، ووطن المرء: أرضه التي بها وُلد، وعليها تربى، وعلى تُرْبتها درج، وبخيراتها نعِم، وفي محاضنها نشأ.

وإذا كانت الإبل تحنُّ إلى أوطانها والطير إلى أوكارها فكيف الأمر إذًا بهذا الانسان!!.

إن هذا الحب الجبلي للأوطان سببٌ لعمارتها وسلامتها من الخراب؛ روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لولا حب الوطن لخرِب بلد السوء»، وكان يقال: «بحب الأوطان عُمرت البلدان». ويروى عن ابن الزبير أنه قال: «ليس الناس بشيءٍ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم». وقيل: «كما أنَّ لحاضنتك حقَّ لبنها، فلأرضك حُرمةَ وطنها».

لقد دل القرآن الكريم على هذه المكانة لحب الأوطان وأنه أمرٌ مركوز في الفطَر جُبلت عليه النفوس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٦٦]؛ فقرن جل شأنه الجلاء عن الوطن بالقتل، وهو بمفهومه يفيد أنَّ الإبقاءَ فيه عديلُ الحياةِ، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ٢٤٦﴾ [البقرة: ٢٤٦]؛ فجعل القتال ثأراً للجلاء.

والوطن المسلم القائم على الشرع المقيم لحكم الله جل وعلا قد اجتمع لأهله حبان:

❁ **حب فطري:** وهو المتقدم ذكره.

❁ **وحب شرعي:** وهو ذلكم الحب العظيم المبني على الصلاح والإصلاح.

❁ ولنتأمل حب النبي ﷺ للوطن متمثلًا في أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري في «صحيحه»[(١)] عن أَنَسٍ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا» أي من حبِّ المدينة، لأنها وطنه المبارك وداره الطيبة، فعَل ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفيه أكرم الأسوة.

❁ وأمر ﷺ أمته بسرعة الرجوع إلى أوطانهم عند انقضاء أسفارهم وحاجاتهم سواءً منها الدينية أو الدنيوية؛ روى «الشيخان»[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ».

❁ بل إنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دعا إلى الرجوع إلى الوطن ولو كان السفر إلى مكة بيت الله الحرام؛ روى الحاكم[(٣)] بإسناد ثابت عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ حَجَّهُ فَلْيُعَجِّلِ الرِّحْلَةَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِأَجْرِهِ» قال العلماء المراد بأهله: أي وطنه وإن لم يكن له فيها ولد أو أهل.

(١) (رقم/ ١٨٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (رقم/ ١٨٠٤)؛ ومسلم (رقم/ ١٩٢٧).
(٣) (رقم/ ١٨٠٥)؛ والدارقطني (رقم/ ٢٧٩٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (رقم/ ١٣٧٩).

والمسلم الصادق أصدقُ الناس حبًا لوطنه؛ لأنه يريد لأهله سعادة الدنيا والآخرة بتطبيق الإسلام، وتبنِّي عقيدته القويمة، وإنقاذهم من النار ومن سخط الجبار، قال الله تعالى حكايةً عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]؛ قال ذلك محذرًا لقومه وناصحًا لهم ومريدًا لهم الخير والصلاح والنجاة.

فحب الأوطان الصادق لا يكون إلا بالسعي فيما يُصلحها، ولا صلاح لها إلا في دين الله تبارك وتعالى، ولا قوام لها إلا بشرعه، وكل ما عارض الشريعة فليس بإصلاح، بل هو من الإفساد وليس من حب الوطن في شيء.

❁ إن صلاح الوطن يكون بصلاح العقيدة الإسلاميّة واستقامتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

❁ ويكون بتحكيم الشريعةِ على أرضه وبين أهلِه وعمارةِ أرجائه بالإيمان وتقوى الرحمن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

❁ ويكون بإعلاءِ شأن الدّعوة إلى الله فيه وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

❀ ويكون بمجانبة الذنوب والمعاصي وإقصاء الفساد والإنحلال، فإنه دمارٌ للديار وهلاك لأهلها؛ قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

❀ ويكون بالبُعد عن البَطر وكُفران النّعم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

❀ ويكون بلزوم الجماعة والسمع والطاعة؛ إذ إنَّ مصالح الأمة لا تتم إلا بجماعة، والجماعة لا تتم إلا بإمارة، والإمارة لا تقوم إلا على وطن.

إن المواطَنة الصالحة ليست كلماتٍ تُردَّد ولا شعاراتٍ تُرفَع، وإنما هي إخلاصٌ وعمل ونصحٌ صادق للوطن رُعاةً ورعية.

ألا فلنتق الله ﷻ في وطننا وأن تكون سكنانا وإقامتنا فيه مبنيةً على النصح والإصلاح والصلاح والبعد الكامل عن الشر والفساد، ولنكن في ذلك كله مراقبين لله جل وعلا الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي النفوس، وقد صح في الحديث عن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[٤].

(٤) أخرجه مسلم (رقم/ ٥٥) عن تميم الداري.

إنَّ ما يُروى منسوبًا إلى نبينا الكريم ﷺ أنه قال: «حب الوطن من الإيمان»[٥] حديثٌ لا يثبُت عنه صلوات الله وسلامه عليه، بل هو حديث مكذوب لا صحة له باتفاق أهل العلم والمعرفة بحديثه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

ولهذا لا يجوز أن يقال: قال ﷺ: «حب الوطن من الإيمان» لأنه باتفاق أهل العلم لم يثبت عن نبينا الكريم ﷺ. أما من حيث المعنى؛

❀ فإن أريد بحب الوطن: أي الحب الشرعي القائم على الصلاح والإصلاح فلاشك أن ذلك من الإيمان، والإيمان يدعو إلى ذلك وقد تقدم شيء من نصوص الشرع في الدلالة على ذلك.

❀ أو أن يكون المراد بالوطن: الجنة؛ جنات النعيم، فهي موطننا الأول ونحن في هذه الحياة الدنيا سبي العدو، فمِن ناجٍ عائد إلى وطنه الأول، ومن خاسرٍ محروم عياذًا بالله تبارك وتعالى من ذلك.

والمعنى الثاني مترتب على المعنى الأول. والله ولي التوفيق والتسديد، ونسأل الله أن يحفظ علينا وعلى المسلمين أوطاننا، وأن يعمرها بالخير والأمن والإيمان والسلامة والإسلام إنه سميع مجيب.

(٥) انظر: الموضوعات (ص٥٣) للصاغاني؛ وتذكرة الموضوعات (ص١١) للفتني؛ والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع (ص٩١) لملا علي القاري وقال عنه: لا أصل له عند الحفاظ، والسلسلة الضعيفة (رقم/ ٣٦)؛ وانظر: في مناقشة صحة معناه «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (ص١٨٢-١٨٠) للقاري.

حب الوطن



إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

